مجلة عصور المجلد 17 العدد الأول سبتمبر2018
ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003- 868 Depot légal

جوانب من الإنتاج الأسطوغرافي الجزائري حول بلاد المغارب في العهد العثماني
ـدراسة نموذج وقضايا ـ

فاطمة الزهراء طوبال
طالبة دكتوراه/ جامعة وهران
toubal.zhor81@gmail.com

تاريخ الإرسال:21-03-2018

ملخـــــص:
تعرف الجامعة الجزائرية حركة تأليفية تقصت بالبحث العديد من الموضوعات التاريخية في العهد الحديث، وقد احتلت بلاد المغارب الصدارة في الساحة التأريخية ذلك أنها لم تفلت من الخضوع للإمبراطورية العثمانية وعلى رأسها الجزائر، تونس و طرابلس بسبب وقوفها كسور منيع في طريق التوسع الأوروبي في العالم الإسلامي طوال أربعة قرون من الزمن. وتجسد الإسطوغرافيا الجزائرية أدوارا بالغة الأهمية في التأليف واستقراء التاريخ وفق اختيارات منهجية تضعنا أمام إنتاجات تنتمي إلى المدرسة الجزائرية التاريخية الحديثة والتي نشأت منذ الثلاثينيات من القرن الماضي وتبلورت في قالب جديد.

وبالرغم من أن حصة الموضوعات والمقالات والبحوث المرتبطة **بالتأريخ لبلاد المغارب** في العهد العثماني تحتل موقعا ممتازا في الحقل المعرفي التاريخي إلا أنها تفتقد أحيانا الى تقديم كتابات منسجمة وفي حدود مائعة وأحيانا أخرى تضعنا أمام إيديولوجية وطنية تقليدية، إذ يعود هذا الى طريقة التناول التي تعتمد فيها تلك الكتابات على المقاربات الوطنية الضيقة.
وبالمقابل نؤكد على وجود دراسات جزائرية تكتب في المجال ذاته بطريقة مميزة بناءا على أدوات تحليل أكثر مقاربة علمية وتصدر موضوعات واسعة الآفاق و متنوعة التناول، إذ من جملة البحوث التي حضيت بها تلك الموضوعات معالجة الظواهر الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية وكذا العمرانية وربطها بالعلوم التاريخية على غرار البحوث السياسية مما

استقطب إليها الباحثين لإيلاء العناية التامة بها، فحملت سمات الواقع الفكري الراهن نظرا لدقتها العلمية.

في ضوء ما تقدم، الدراسة معنية في الأساس بتناول نماذج من تلك الدراسات المتعلقة ب**التأريخ بالتأريخ لبلاد المغارب**، وسأحاول جاهدة تقديم قراءة نقدية تحليلية لمضامينها وأبعادها، وأن أجيب عن الإشكالية المطروحة وهي: ما هي حدود معالجة الدراسات الجزائرية لموضوعات تاريخ **بلاد المغارب في العهد العثماني؟**

الكلمات المفتاحية: الإمبراطورية العثمانية -بلاد المغارب- الإنتاج الاسطوغرافي -التاريخ المحلي -الدراسات الجزائرية.

Abstract:

The Algerian university has known a synthetic movement that investigated about a huge range of historical topics whilst the modern era. Amongest them, the Maghreb provinces which have been the most studied themes in history since they were under the Ottoman authority taking for instance; Algeria, Tunisia and Tripoli because they were as a fortified fortress in front of the European expansion in the Islamic world for a period of four centuries.

The Algerian historiography incarnated some crucial roles in writing and in the historical induction according to certain methodological choices that exposes us to the products which have a relationship with the modern historical Algerian school; this latter was established since the thirties of the precedent century and was presented in a new way.

Though the amount of the topics, the articles and the researches which were related to the investigation about the Maghreb Ottoman provinces take a considerable status in the epistemic and historical field, it, sometimes, lacks to the offering of coherent writings in deliquescent limits. Again, it puts us in front of a traditional and national idiologies. This originated from the manner that was taken and with which thoses writings depend on the national narrow approaches.

On the other hand, we emphasize on the existance of the Algerian studies which are written in the same domain in a unique mode depending on more scientific analytical tools. In addition, they issue some enormous and multiple topics. Among that bunch of researches about thoses topics dealt with social, cultural, economic and even constructional phonomena and then correlate them with the historical sciences which cared about them so that it carried out the characteristics of the intellectual reality thanks to its scientific accuracy.

In light of what has been said, this study is, mainly, interessted in dating the Maghreb Ottoman provinces. So, we will do our best in order to give an analytical reading to its content and dimensions as to answering this problematic: What are the limits of treating the Algerian studies about the topics of the history of the Ottoman Maghreb provinces?

This paper will deal with the following items:

1- Introduction (Precedents).

2- Some sides from the Algerian historiographic product about the Maghreb Ottoman provinces.

3- The structure of the Algerian historical discourse and the approach of the historical topics.

4- Methods and characteristics.

5- The necessity of renewal (the correlation between history and social science).

Key words: The Ottoman Empire, the Maghreb Provinces, the Historiographic Product, The Local History, the Algerian Studies

مقدمة:

مع حلول القرن الواحد والعشرين عرف التأريخ **لبلاد المغارب في العهد العثماني** نقلة نوعية، وبرزت حركة تأليفية عربية تقصت بالبحث العديد من الموضوعات التاريخية في العهد الحديث، بسبب عدة مناسبات ربطت العرب بالعثمانيين، انطلاقا من مئوية إعلان الدستور العثماني في

2008[1] إلى غاية مئوية الثورة العربية في 2016[2]، وفي انكباب الباحثين على التأريخ لهذه الفترة برزت أسماء عربية رائدة عالجت هذا الموضوع، وعلى رأسهم عبد الجليل التميمي الذي كتب تأليفا عنوانه "دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر" والذي يعتمد فيه أساساً على "دفاتر المهمة" وما فيها من أوامر سلطانية تخص ولايات شمال إفريقيا (طرابس الغرب وتونس والجزائر و المغرب الأقصى)[3]، وعبد الرحيم بنحادة الذي أشرف على سلسلة كتب جماعية اهتمت بتاريخ المغارب والعالم المتوسطي في العهد العثماني، ومنها على سبيل المثال: "المغارب بين الأرشيفات المحلية والمتوسطية"، إضافة إلى فاضل البيات الذي صدرت له مقالات عن مركز دراسات الوحدة العربية تناول فيها محور " أوجاقات الغرب والمغرب الأقصى"، وعلى غرار هؤلاء المؤرخين العرب المساهمين في هذه الحركة تبادرت إلينا تساؤلات نطرحها اليوم للنقاش، حول حدود إسهام الإسطوغرافيا الجزائرية في التأريخ للإيالات المغاربية؟

1/بلاد المغارب العثمانية في الدراسات الجزائرية:

لعبت المؤسسات الجامعية الجزائرية دورا مركزيا في التأريخ للفترة الحديثة مثل جامعة وهران، وجامعة قسنطينة وكذا جامعة الجزائر وغيرها، وصدرت مجلات علمية محكمة[4] احتلت موقعا هاما في هذا المجال، حيث

1 - بدأت التجربة الدستورية العثمانية عام 1908 وقد شارك العرب فيها حيث انتخب لمجلس المبعوثان أربعون عضوا عربيا منهم سوريون وفلسطينيون ولبنانيون وغيرهم، وقد أسهمت في مستوى العلاقة والارتباط مع الدولة العثمانية

2 - الحديث عن هذه المناسبات يتحدث عنها محمد م. الأرناؤوط بالتفصيل، أنظر دراسته المتاحة على الرابط التالي:
http://daharchives.alhayat.com تاريخ النشر 2010/10/2

3 - أنظر في شرح الدراسات العربية السابقة والتي وردت من غير الجزائريين عند محمد م. الأرناؤوط ، نفس الرابط

4 - نقصد بها المجلات التي قمنا بالإطلاع عليها لرصد الدراسات المذكورة ونذكر منها: المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، مجلة الفكر المتوسطي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مجلة الخلدونية، مجلة المتن العربي، مجلة الإنسانيات

عالجت قضايا مختلفة من تاريخ الدولة العثمانية ساهم فيها باحثون من مختلف ولايات الوطن للإلمام بالتّأريخ لهذه الفترة.

بداية كان الاهتمام بتاريخ الأحداث السياسية والعسكرية الذي طالما احتوته المدرسة التاريخية الجزائرية فجر الاستقلال الوطني للبحث في الأصول التاريخية للمجتمعات المغاربية ولتثبيت مسألة الذاكرة و الهوية ضد الكتابات الأوربية التي وظفت التاريخ لتبرير وجودها ببلاد المغارب، وللكشف عن التصورات المغلوطة التي تعكس نظرة مشوّهة للإيالات المغاربية فترة التواجد العثماني كونها تكريساً حقيقياً للسوسيولوجيا الاستعمارية.[1] فبرزت كتابات تاريخية عامة ساهم بها جزائريون بهدف الرد على الأطروحات الفرنسية فكتب يحي بوعزيز تأليفا عنوانه "الموجز في تاريخ الجزائر"[2] يتناول في جزءه الثاني تاريخ إيالة الجزائر، ابتداء من ظهور العثمانيين واستيلائهم على معظم أقطار المشرق العربي ووصولهم بحرا إلى شمال إفريقيا خاصة السواحل الجزائرية وإلحاقها بالدولة العثمانية وركز المؤلف في هذه الفترة على خصائص الحكم العثماني من جوانبه السياسية الإدارية والاقتصادية، وقد تأثر كثيرا بالمواقف الإيديولوجية وقناعته الذاتية في تحليله للأحداث التاريخية، بيد أن هناك جهود وطنية التي بذلتها دراسات تاريخية أخرى كأبي القاسم سعد الله[3] أجلت مقاربة علمية نموذجية لإنكار تلك التصورات من خلال العمل على الوثائق المحلية ورسم صورة للأحداث التي وقعت بروح عصرها.

وواصلت جهود جزائرية أخرى في إضفاء نفس الصبغة العلمية التي بدأ بها خريجو المدرسة الوطنية السابقون والذين أرادوا إثبات وجود

1 - تتجسد السوسيولوجيا الإستعمارية خصوصا في كتابات: (Boyer), A. Bernard) (M.E.F.Gautier), (

2 - يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر،ج2، ريحانة للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002

3- تتجسد جهود المؤرخ التأريخية لهذه الفترة في المؤلفات التالية: موسوعة: تاريخ الجزائر الثقافي (9 مجلدات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998+ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر 5) أجزاء)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993-1996-2004+ دراسات في الأدب الجزائري الحديث, دار الآداب، بيروت، 1966.

الدولة في إطار إضفاء الشرعية التاريخية على الدول المغاربية بما يخدم الدولة الوطنية الناشئة، أمثال مولاي بلحميسي في أطروحته الموسومة ب" بحارة وبحرية الجزائر في العهد العثماني 1518 – 1830"[1].

وانصبت اهتمامات جزائرية أخرى بالتاريخ الحديث إلى حيز جغرافي آخر، فانكبت الدراسات الجامعية على تناول تاريخ **بلاد المغارب في العهد العثماني** من طرف الدكتوراليين بوصف وتحليل الأحداث التاريخية الواقعة في العهد العثماني، فكتب الغزوي مخلوف تأليفا بعنوان "ولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني"[2] يتناول فيه تاريخ إيالة طرابلس خلال الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، حيث الوضع السياسي ونظام الحكم والعلاقة مع الأهالي والظروف التي عاشها سكان البلاد تحت السلطة الحاكمة آنذاك، وكذلك نشاط الأجانب في الولاية وموقف السكان والحكومة وعلى الأخص النشاط الإيطالي الذي هدف إلى احتلال ليبيا.

وفي نفس الاتجاه كتبت دباح عائشة تأليفا بعنوان "تفاعل السلطة مع القوى الدينية والعلمية في عهد المولى إسماعيل في المغرب الأقصى (1672م - 1727م)"[3] تناولت فيه موضوع السلطة في عهد المولى إسماعيل بالإيالة الشريفة وعلاقتها المضادة مع كل السلطات المناوءة لها ومن هذه السلطات السلطة الدينية والمتمثلة في الزاوية والطرق الصوفية والعلماء والقضاء على أتباعها في هذه الفترة.

1 - الأطروحة أنجزت باللغة الفرنسية: Marine et marins d'Alger (1518-1830).Volume 1, Bibliothèque nationale, 2003

2 - الغزوي مخلوف: ولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف حباسي شاوش، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2013

3 - دباح عائشة: تفاعل السلطة مع القوى الدينية والعلمية في عهد المولى إسماعيل في المغرب الأقصى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف قشاعي موساوي فلة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2013

وانصبت أطروحة بلحاج الكوني التي عنونها ب" التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب"[1] على دراسة تأثيرات نظام الإصلاحات العثماني على إيالة طرابلس الغرب والآثار السياسية التي خلفتها من حيث ظهور التيارات السياسية والجمعيات المدنية، والمواجهة مع السلطات العثمانية، والإطلاع على العالم الخارجي ، والتواصل مع مصر وتونس والجزائر.

وانساقت حصام صورية في أطروحتها المعنونة "العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م"[2] إلى رصد الحروب الدامية التي قامت بين الإيالتين والنزاع على المناطق الحدودية بسبب القبائل المتنقلة القاطنة على الشريط الحدودي.

إن هذه الإسهامات والحقائق التي كتبت لم تخرج عن كونها شهادة تشهد على جزء من اللحظات التاريخية التي وقعت في زمن الماضي، إلى أن ظهرت اتجاهات أخرى دعت إلى تناول التاريخ في سياقات مفتوحة وعارضت تناول الأحداث التي تخدم وجهة نظر المؤرخ ودعت إلى تناول التاريخ في مجاله الاجتماعي العميق، إذ مع بداية القرن21م زاد الاهتمام بالحياة اليومية، ففي جامعة الجزائر أنجزت عائشة غطاس تأليفا جاء لتتويج مسار تجربة خصبة في كتابة التاريخ الوطني عالجت فيه تاريخ الحرف و الحرفيون بإيالة الجزائر 1700-1800[3]، يقع هذا التأليف في أربع أقسام درست فيه التركيبة السكانية و التنظيم الاجتماعي لسكان مدينة الجزائر واعتمدت الدارسة على مقاربة اجتماعية اقتصادية من خلال وثائق محلية تتمثل أساسا في سجلات المحاكم الشرعية مثل عقود التحبيس وعقود البيع

[1] - بلحاج الكوني: التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب، ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف يحياوي مسعودة ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2013

[2] - حصام صورية: العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف عبد المجيد بن نعمية، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013

3 - عائشة غطاس: تاريخ الحرف و الحرفيون بإيالة الجزائر 1700-1800، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007

والشراء وأحكام المنازعات القضائية و في نفس الاهتمام كتبت نفيسة دويدة عن المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية[1]. حيث اعتمد هذا النوع من الدراسات على مقاربات تأويلية[2] وذلك من خلال توصيف مظاهر سلوكية محددة بسبب غلبة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تمثله مدرسة الحوليات[3] مع بداية النصف الأول من القرن 20م المختصة في دراسة تاريخ البنى الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية وذلك في سياق المدد الزمنية الطويلة بهدف رصد مدى تفاعل الإنسان مع مجاله الجغرافي.

هذا التحول الذي بدى واردا في هذا النوع من الدراسات، كلها موضوعات تدخل في سياق الأنثروبولوجيا التاريخية[4] التي سنتحدث عن محاورها الكبرى بشيء من التفصيل لاحقا، لأن مقاربتها ترتبط دائما بدراسة المظاهر السلوكية والذهنية للأفراد. وقد دخلت الدراسات الجامعية الجزائرية المختصة في العهد الحديث هذا المجال بتحليل الوعي الجماعي[5] بوصف الأوضاع الاجتماعية لفئة معينة و التمثلات الذهنية في الإيالات العثمانية من خلال ما نشر في أبحاثهم.

ومن الدراسات الأخرى الرائدة في هذا المجال دراسة "الحبيب خنفار" بمجلة "الخلدونية"[6] الذي كتب عن الوضع الاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني وعلى غراره ذهب كذلك بكاري عبد القادر بنفس المجلة لينشر دراسة "الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء

1 - نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة إنسانيات، العدد68، من ص11-34، الجزائر، 2015

2 - نقصد بها خطوة استشرافية في العملية التأريخية من أجل إنجاز منهج تأويلي ناجز

3 - ترتبط المدرسة بأعمال نظرية و منهجية حول البحث التاريخي تترجم الإمكانيات العملية لاستفادة التاريخ من علوم الإنسان بهدف توسيع المعرفة التاريخية.

4 - هو حقل معرفي يختص بالمعرفة المنظمة عن الإنسان يطرح مشكلات جديدة، و يشجع على نمط جديد من الكتابة التاريخية الأكثر انفتاحاً على العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

5 - يشير المصطلح إلى المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة والتي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع الواحد.

6 - الحبيب خنفار، مجلة الخلدونية، العدد السابع،ديسمبر2014، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،ص172، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر

الجزائر العثمانية"[1]. وبالموازاة تناولت الأطروحات الأكاديمية موضوعات استعرضت واقع الحياة الثقافية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني مثل أطروحة درقاوي منصور و الموسومة ب" الموروث الثقافي العثماني بالجزائر"[2] وفي نفس التخصص تتمحور أطروحة صباح بعارسية" حركة التصوف بالجزائر خلال القرن 16م"[3].

إذ كان الحافز الأول من خلال هذه الدراسات هو بناء الوعي التاريخي[4] في الكتابات التاريخية المتجددة، فالمعطى العلمي الوارد فيها من خلال رصد الأفكار والمعتقدات و السلوكيات الجماعية، جعل منها عنصرا حيويا في بناء المنهج التاريخي والاستدلال به وسنشير إلى ذلك بشيء من التفصيل لاحقا.

1-**بنية الخطاب التاريخي الجزائري ومقاربة الموضوعات التاريخية (إيالة الجزائر أنموذجا)**:

ارتأينا في هذه النقطة التركيز على إيالة الجزائر إذ لايسمح لنا المجال برصد كل الموضوعات المتناولة حول بقية الإيالات المغاربية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ومن خلال ما وقفنا عنده أثناء كتابتنا هذا النص، فإن الدراسات الجزائرية قد ركزت في تناول هذه الموضوعات من خلال المباحث التي تطرقنا إليها على حيز جغرافي محدد والمتجسد في إيالة الجزائر أما بقية الإيالات المغاربية فلم تأخذ حصتها من الدراسة، و السبب في ذلك قد ارتبط بالمؤسسات الرسمية المؤطرة للبحث و الموجهة

1 - نفس المرجع، العدد السادس، 2013، ص117

2 - بكاري عبد القادر:الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف: دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،السنة الجامعية 2015-2014

3 - درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006

4 - مفهوم الوعي التاريخي متاح على الرابط التالي بصحيفة عكاظ / /http://okaz.com.sa/article/500186

للدراسات العليا والتي سعت في مشروعها الوطني إلى حصر إعادة كتابة التاريخ على المجال الوطني في العهد الحديث.

فبداية كان تناول الأحداث التاريخية لإيالة الجزائر في الدراسات السابقة في حدود مائعة من حيث حقلها المعرفي إذ لاحظنا عدم وجود انسجام في الموضوعات المتناولة خاصة لما كانت تعتمد في تعاطي المعطيات العلمية على المنهج التقليدي، وذلك بتسجيل ركام هائل من الأحداث والوقائع وإغفال العلوم الإنسانية المساعدة في إنتاج تاريخي منسجم مع المفهوم المنطقي و التفسير العقلاني للوقائع.

لكن مع الآونة الأخيرة والتنظير للمناهج العلمية للبحث في العلوم الإنسانية وعلى رأسها التاريخ صار تناول الموضوعات التاريخية يتم بطريقة مميزة وبناءا على أدوات تحليل أكثر مقاربة علمية من السابق، وهذه الأدوات لازالت في طور النشأة في الدراسات الأكاديمية الوطنية إذ لابأس أن نشير إلى جملة الموضوعات التي اهتمت بها الدراسات الجزائرية حول إيالة الجزائر وهي "ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، فاللباس ليس ظاهرة اجتماعية صرفة بل يتطور من زمان إلى آخر فهناك ملابس لم تكن موجودة سابقا لكن بفعل التأثير و التأثر دخلت المجتمع الجزائري، مثل "القفطان"[1] ومن بين الدارسين الجزائريين الذين خاضوا في هذه الموضوعات، شريفة طايان التي كتبت تأليفا عنوانه" ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني"[2] وليلى خيراني التي نشرت مقالا في مجلة العلوم الإنسانية عنوانه" نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني"[3] إضافة إلى عائشة حنفي التي كتبت عن "لباس الرجال لمدينة الجزائر في العهد العثماني."

1 - كان يلبسه الرجال و النسوان إذ ظهر هذا النوع من الملابس في إيالة الجزائر ابتداءا من 1727 إضافة إلى أنواع أخرى من الملابس المتداولة في الإيالة و التي ظهرت مع مجيء العثمانيين مثل الطربوش و الأحزمة التي كانت تطرز بخيوط الذهب.

2 - شريفة طايان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر،1990-1991

3 - ليلى خيراني: نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 41، المجلد ب، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2014

وقد انصبت هذه الدراسات إلى إبراز ملمح من الملامح الثقافية لإيالة الجزائر لأن اللباس جزء من الثقافة مما دفع بالدارسين الخوض فيه، إذ إن الرجوع إلى الأسس البنائية لهذه الأبحاث و رصد النتائج الأولية التي أصدرتها يُعَد المنفذ الأساسي لتمكين أي دارس من كشف وتحليل المناهج والتقنيات المتبعة في الكتابة التاريخية، هذه الخطوة ضرورية جدا بهدف الوصول إلى النقد الحقيقي و البناء للأعمال و الإنتاجات الأكاديمية في حقل البحث التاريخي. من هنا يمكننا أن نستخلص بنية الخطاب التاريخي الجزائري في الفترة الأخيرة إذ عرف نقلة نوعية من تأريخ للأحداث إلى تنظير وتكريس مستويات المنهج المنطقي في التناول التأريخي للوقائع.

وصار التناول يتم وفق مقاربة علمية تسعى لخلق الروابط في تناول الموضوعات التي أصبح تصنيفها يقوم على جملة من المباحث الكبرى فمنها المرتبطة بالثقافة المادية التي تعتبر فرع من فروع الأنثروبولوجيا التاريخية مثل ثقافة اللباس بإيالة الجزائر التي أشرنا إليها سابقا، ومنها المرتبطة بالأنثروبولوجيا الاقتصادية التي تدرس الحالة الاقتصادية لإيالة ما مثل دراسة مروش لمنور الذي كتب تأليفا عنوانه " أبحاث في تاريخ الجزائر العثمانية العملات، الأسعار والمداخيل من 1520 إلى 1830"[1] قدم من خلالها مقاربة علمية جديدة في التأريخ لاقتصاد إيالة الجزائر، واستقرأ فيها معطيات مالية موضحا أنواع العملات المتداولة في تلك الفترة عبر ثلاثة قرون. فهذا النوع من المباحث الذي اهتمت به الدراسات الأكاديمية الجزائرية استقرأ التاريخ الاقتصادي و رصد الممارسات اليومية للوحدة الاقتصادية بالإيالة، وفي نفس المبحث أنجز حسان كشرود أطروحة حول "رواتب الجند و عامة الموظفين و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 م إلى 1830 م"[2] فوقف على مستويات

1 - مروش، لمنور : أبحاث في تاريخ الجزائر العثمانية العملات، الأسعار والمداخيل من 1520 إلى 1830.- باريس، دار النشر بوشن، 2002.

2 - حسان كشرود: رواتب الجند و عامة الموظفين و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 م إلى 1830، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف: فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008، الجزائر

مداخيل و ثروات جند الإنكشارية والموظفين و حركيتهم ونشاطاتهم في ظل التركيبة والبنية الاجتماعية الجزائرية كما نشر محمد مكحلي مقالا عنوانه "الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827"م[1] فكتب فيه عن الطابع الزراعي و الرعوي الذي تمركز أساسا في الأرياف كما أفرد فقرات للتكلم عن النظام الجبائي المطبق على الأراضي الفلاحية بإيالة الجزائر العثمانية .

إذن هذا المبحث درس فعل الاقتصاد وكل العمليات المتعلقة بالقوانين الاقتصادية بالإيالة الجزائرية واعتمد فيه على ما يسمى بسجلات البايلك التي تناولت المعطيات المالية والاقتصادية.

ومن المباحث الكبرى التي اهتمت بها الدراسات الجزائرية في التأريخ لإيالة الجزائر، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتي تعتمد على دراسة السلوكيات الاجتماعية كتاريخ العائلة وتاريخ السكان خاصة مع ظهور علم الديمغرافيا حيث تستند الدراسات في هذا المبحث على المنهج الوصفي، إذ كتبت موساوي القشاعي فلة تأليفا بعنوان "الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)"[2] تطرقت فيه إلى الوضع الصحي بالجزائر منذ بداية الحكم العثماني بالبلاد سنة 1518 إلي غاية العشريات الأولى من الاحتلال الفرنسي عام 1871 من خلال ما طرأ على السكان من أمراض وأوبئة متمثلة في اجتياح الطاعون أثناء القرن 16 و 17 و 18م وانعكاساته الديمغرافية الراهنة حيث تسببت في انقراض ديمغرافي مس البيئة الاجتماعية للجزائر، وبالتالي فإن هذه الدراسات تدرس السكان بآليات علمية و تحليلية تنتمي إلى المنهج الكمي الذي يعتمد على دراسة معدلات نمو السكان وبناء الجداول الإحصائية.

1 - الدراسة متاحة على الرابط التالي : http://azoudjelfa.yoo7.com

2 - القشاعي فلة: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر،2005

وفي نفس المبحث كتبت نجوى طوبال كتابا حول طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700- 1830م)[1] من خلال سجلات المحاكم الشرعية، عالجت فيه أصول اليهود والمناطق التي وفدوا منها كما رصدت مختلف العقارات التي كانوا يملكونها بمدينة الجزائر وأحصت ألقابهم اليهودية ب137 عائلة كانت قد تواجدت بمدينة الجزائر في تلك الفترة.

ومن المباحث المتبقية و التي تجدر الإشارة إليها الأنثروبولوجيا الثقافية حيث تركز الدراسات الجزائرية في هذا المبحث على دراسة بناء الثقافات الشعبية وأدائها لوظائفها في الفترة العثمانية ومن الأعمال الرائدة في هذا المبحث دراسة ياسين بودريعة الذي نشر مقالا في مجلة العلوم الإنسانية عنونها ب" المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني"[2] حيث عالج فيها معتقدات مجتمع مدينة الجزائر في الأولياء والأضرحة بسبب البدع والخرافات التي كانت منتشرة في تلك الفترة باعتبار أن المعتقد الذي كان سائدا آنذاك هو قدرة الأولياء على صنع المعجزات كالقدرة الشفائية من الأمراض المستعصية حيث كان الواقع آنذاك يبدي تمثلات غريبة في الممارسات اليومية و الطقوس الموروثة التي كانوا يؤذونها و التي تفضي بالتواصل بين الرعية و تخيلاتهم اتجاه الأولياء، فالاعتقاد في الوظيفة الشفائية أثناء التردد على الأضرحة وممارسة طقوس رمزية كانت متداولة بكثرة بينهم. وقد اعتمد الدارس في رصده للمعطى التاريخي المدون في مقالته على عقود المحاكم الشرعية حيث ورد في نصوصه أن هناك العديد من الإشارات التي تبين تمثلات الناس في المدينة إلى الأولياء لذا كانت هذه العقود المصدر الأول لتأليفه.

والملاحظ أنه بفضل استغلال مجموعة سجلات بيت المال وسجلات المحاكم الشرعية ومجموعة دفاتر البايليك من قبل الدارسين في

1 -نجوى طوبال: مجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700- 1830م)، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر، دار الشروق لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

2 - ياسين بودريعة: المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني، العدد 40، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2013

المباحث المذكورة، تم الكشف عن جوانب هامة من الممارسات السلوكية لأفراد إيالة الجزائر، وبالتالي فإن توظيف هذه الموضوعات في الدراسات التاريخية سمحت بظهور تنظير عقلاني و جديد في التأريخ للعهد العثماني.

2- المناهج والخصائص

عرف منهج الكتابة في التأريخ للإيالات العثمانية بالجزائر مرحلة أولية صبغتها رؤية سياسية في التعامل مع الأحداث التاريخية، إذ بداية كانت عبارة عن دراسات عامة تدخل في إطار التعريف بالفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي وتميزت بإتباع المنهج السردي والعرض الكرونولوجي للوقائع التاريخية ونذكر منها لا للحصر كتابات عبد الرحمن الجيلالي" تاريخ الجزائر العام"[1] و مبارك الميلي" تاريخ الجزائر في القديم والحديث"[2] و أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر[3]" ثم تلتها كتابات تاريخية أكاديمية مختصة وقد مثل هذا الاتجاه جملة من خريجو الجامعات العربية و الغربية والذين قاموا بتدريس التاريخ الحديث في الجامعة الجزائرية وتوزعت إسهاماتهم بين التأليف والترجمة والتحقيق وحاولوا الالتزام بالموضوعية في تدوين الوقائع مثل أبو القاسم سعد الله " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر"[4] "وناصر الدين سعيدوني " النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني"[5] وجمال قنان " نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث"[6] فساهموا في كتابة التاريخ بمقاربات علمية حسب منطوق الوثائق فاحتلت دراساتهم الريادة في السلك الأكاديمي العلمي ثم تلاه جيل جديد والذي ارتبطت اهتماماته بالتأريخ لهذه الفترة انطلاقا من العلوم المساعدة المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية التي تدرس نشاط الإنسان ناهيك عن علم الاقتصاد و علم قراءة

1 -عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965
2 - مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1986
3 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،الجزائر، المطبعة العربية،1931
4 -أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار البصائر، 2007
5 - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985
6 -جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987

الخطوط و العمران وقد مثل هذا الاتجاه الأنثروبولوجيون بصفة خاصة فقدموا دراسات جادة من حيث الموضوعات المعالجة وطريقة التناول ليفتحوا مجالا أوسع لفهم العلاقة بين البحث كغاية والكتابة كوسيلة حيث كان على رأس هذا الاتجاه مصطفى بن حموش الذي كتب تأليفا باللغة الفرنسية عنونه ب" دار السلطان"[1] استعرض من خلاله مقاطعة الجزائر في العهد العثماني من حيث الإدارة الحضرية والتهيئة العمرانية واستغل لكتابته الخرائط الطبوغرافية الأولى التي قامت بها الإدارة الفرنسية المحتلة، ثم إلى بعض الأوامر السلطانية المتواجدة بالأرشيف العثماني باسطنبول.

وتعدو الكتابة وفق هذه المنهجية إلا أن تكون رؤية تخمينية تنادي بإحداث قطيعة مع التوجهات المنهجية السابقة وإعادة نظر جوهرية في توجيه البحث وتأطير التأريخ لهذه الفترة.

3-خلاصة (ضرورة التجديد)

لا ندعي هنا بمكان أن ما كتب سابقا من تراكمات معرفية حول **بلاد المغارب في العهد العثماني** لم تأت أكلها بل إن المدرسة الوطنية التقليدية رصدت الكثير من القضايا السياسية الهامة وساهمت في التدوين لأحداث تاريخية مميزة، بيد أن هناك فجوات بحثية في الدراسات السابقة و التي تم القيام بها إذ بقيت محصورة بين الأحداث السياسية و العسكرية التي كانت المادة الأساسية في بناء المعارف التاريخية آنذاك وكذا طريقة تناول تلك الأحداث التي لم يتم الاستفادة منها منهجيا، لماذا؟

لأن تلك الكتابات تأسست لغرض تقديم تعليل مقنع على تكذيب الطروحات الفرنسية التي كتبت عن تخلف بلاد المغرب قبل الاحتلال الفرنسي كما أشرنا في بداية ورقتنا سابقا، فوضعتنا أمام إيديولوجية وطنية

1 - GESTION URBAINE DE DAR ES-SOLTANE, (GRAND ALGER 1516/1830), Thèse de doctorat, Sous la direction de Stéphane Yerasimos. Soutenue en 1993 à Paris 8

تقليدية، اعتمدت فيها على المقاربات الوطنية الضيقة، فالإسهامات التي تقدم بها الباحثون التقليديون بنيت على أساس السجال الإيديولوجي مع المؤرخين الفرنسيين.

أما في الآونة الأخيرة فقد تم تجاوز التاريخ السياسي واعتمد في الإسهام التأريخي على نشاطات البشر، إذ حصل تقارب بين الأنثروبولوجيا والتاريخ، فهناك إسهامات جامعية تعمل على توظيف المناهج الحديثة في خدمة الحقيقة العلمية بيد أنه ينبغي تطوير أدوات تلك المناهج الموظفة.

بالتالي فمن خلال النتائج المتوصل إليها في الدراسات الجزائرية الحديثة و خلاصة الاستنتاجات المتعلقة بالتنظير لإعادة كتابة التاريخ المغاربي، لا بد أن نمهد لإعادة كتابة المناهج والتي بدورها تبحث عن حقول بحثية واسعة وفق فحص علمي دقيق يخضع للحركية البحثية الراهنة، بالارتكاز على اللقاء بين العلوم الاجتماعية والتاريخ خدمة للمجتمع كمشروع لا تجسيدا لسياسة إيديولوجية معينة.

البيليوغرافية:

1 -يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر،ج2، ريحانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002

2- سعد الله أبو القاسم: موسوعة: تاريخ الجزائر الثقافي (9 مجلدات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998+ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر 5) أجزاء)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993-1996-2004+ دراسات في الأدب الجزائري الحديث, دار الآداب، بيروت، 1966

3- الغزوي مخلوف: ولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف حباسي شاوش، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2013

4- دباح عائشة: تفاعل السلطة مع القوى الدينية والعلمية في عهد المولى إسماعيل في المغرب الأقصى، رسالة مقدمة لنيل شهادة

الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف قشاعي موساوي فلة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2013
5- بلحاج الكوني: التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف يحياوي مسعودة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2013
6- حصام صورية: العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف عبد المجيد بن نعمية، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013
7- عائشة غطاس: تاريخ الحرف و الحرفيون بإيالة الجزائر 1700-1800، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007
8- نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة إنسانيات، العدد68، من ص11-34، الجزائر، 2015
9- الحبيب خنفار، مجلة الخلدونية،العدد السابع،ديسمبر2014، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية،ص172، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر
10- بكاري عبد القادر:الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف: دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،السنة الجامعية 2014-2015
11- درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت

إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006
12- شريفة طايان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،1990-1991
13- ليلى خيراني: نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 41، المجلد ب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2014
14- مروش، لمنور : أبحاث في تاريخ الجزائر العثمانية العملات، الأسعار والمداخيل من 1520 إلى 1830.- باريس، دار النشر بوشن، 2002.
15- حسان كشرود: رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 م إلى 1830، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف: فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008، الجزائر
16- القشاعي فلة: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر،2005
16- نجوى طوبال: مجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700- 1830م)، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر، دار الشروق لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

17- ياسين بودريعة: المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني، العدد 40، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2013

18- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965
19- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1986
20- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،الجزائر، المطبعة العربية،1931
21- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985
22- جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987
23- GESTION URBAINE DE DAR ES-SOLTANE, (GRAND ALGER 1516/1830), Thèse de doctorat, Sous la direction de Stéphane Yerasimos. Soutenue en 1993 à Paris 8
24 M.Belhamissi, Marine et marins d'Alger (1518-1830).Volume 1, Bibliothèque nationale, 2003